Comprehensive Journal of Humanities and Educational Studies
المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية
Volume 2, Issue 3, 2026, Pages: 606-622
Journal homepage :http://cjhes.com.ly/index.php/cjhes/en/index

The Technology of War and Organized Violence between Solid Modernity and Liquid Modernity in Zygmunt Bauman

Raga Khalid Hamad Othman *
Department of Philosophy, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University, Libya

تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم بين الحداثة الصلبة والحداثة السائلة عند زيجمونت باومان

رجاء خالد حمد عثمان *
قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، ليبيا

*Corresponding author: raja.khalid@omu.edu.ly

Received: July 20، 2026	Accepted: August 15، 2026	Published: August 30، 2026

Abstract:
This paper examines the differences between solid warfare and liquid warfare, exploring their antecedents and consequences, namely solid modernity and liquid modernity, and the technologies of solid warfare and liquid warfare. It is divided into four sections. Section One: Liquid Modernity and Solid Modernity, containing three definitions: Modernity, Solid Modernity and Liquid Modernity. The second section: The Technology of War and Organized Violence in Solid Modernity, also included three paragraphs: War in Solid Modernity, Violence in Solid Modernity, and The Technology of War and Organized Violence in Solid Modernity. The third section also included three paragraphs and was titled: The Technology of War and Organized Violence in Liquid Modernity. The first paragraph was: War in Liquid Modernity, the second paragraph was: Violence in Liquid Modernity, and the third paragraph was: The Technology of War and Violence in Liquid Modernity. The fourth section came under the title: Liquid War and Chaos in Zygmunt Bauman, and it is a synthesis of the three sections and their application to Bauman's philosophy, with a conclusion that clarified the differences between solid war and liquid war and their relationship to chaos in the Polish philosopher and sociologist.

Keywords: War, solid warfare, liquid warfare, technology of violence, chaos, modernity, solid modernity, liquid modernity.

الملخص
هذه الورقة تتضمن قراءة في الفرق بين الحرب الصلبة والحرب السائلة، وما يرتبط بها قبلا وبعدا، أي الحداثة الصلبة والحداثة السائلة، وتقنيات الحرب الصلبة وتقنيات الحرب السائلة. وانقسمت إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: الحداثة السائلة والحداثة الصلبة، ويحتوي على ثلاث تعريفات: الحداثة والحداثة الصلبة والحداثة السائلة، أما القسم الثاني: تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة الصلبة، فضم ثلاث فقرات أيضا: الحرب في الحداثة الصلبة والعنف في الحداثة الصلبة وتكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة الصلبة، أما القسم الثالث فتضمن أيضا ثلاث فقرات وجاء تحت عنوان: تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة السائلة. الفقرة الأولى منه: الحرب في الحداثة السائلة، والفقرة الثانية: العنف في الحداثة السائلة،

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أما الفقرة الثالثة: تكنولوجيا الحرب والعنف في الحداثة السائلة، وجاء القسم الرابع تحت عنوان: الحرب السائلة والفوضى عند زيجمونت باومان، وهو عبارة عن تركيب للأقسام الثلاثة وتطبيقها على فلسفة باومان، تم الخلاصة التي أوضحت الفوارق بين الحرب الصلبة والحرب السائلة وعلاقتها بالفوضى عند الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي.

الكلمات المفتاحية: الحرب، الحرب الصلبة، الحرب السائلة، تكنولوجيا العنف، الفوضى، الحداثة، الحداثة الصلبة، الحداثة السائلة.

المقدمة

تهدف هذه الورقة إلى تحليل "تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم بين الحداثة الصلبة والحداثة السائلة عند زيجمونت باومان"، عبر آلية التحديد المفهومي، وتفكيك العنوان إلى وحدات قصد ضبطها، فالمفهوم عنصر مهم في اكتشاف المعنى، ولا يمكن استثماره كتعبير إنشائي، ولكن كمعرفة أولية بالموضوع، ولهذا سوف نتطرق إلى مفاهيم الحداثة الصلبة والحداثة السائلة، والفرق بينهما، وربط مفاهيم الحرب وتكنولوجيا الحرب والعنف المنظم والفوضى بهما، حتى نتعرف على مدلولاتها منفصلة ومترابطة.

وتحاول الورقة التحديد المفهومي لتكنولوجيا الحرب، وعلاقتها بتطور الحداثة وانتقالها، عبر الثورة الصناعية إلى حداثة صلبة، وكيف أنتجت الحروب الصلبة، وعبر الثورة التقنية وكيف تحولت إلى حداثة سائلة تؤدي بدروها إلى ميلاد جروب سائلة، وتحاول الجواب أيضا عن سؤال نوع السلم الذي ستحتاجه البشرية، وهل سيكون سلما سائلا؟

فرض علينا الموضوع تقسيمه إلى وحدات سنقوم من خلالها تعرف الحداثة الصلبة والسائلة، والفرق بينهما، وكيف نتجت الحرب وسط كل واحدة منها، وعلاقة ذلك بتقنيات الحرب وعلاقة هذه الأخيرة بتطورات الحداثة، مركزين على المفاهيم "السائلة" كما أنتجها زيجمونت باومان.

الحداثة السائلة والحداثة الصلبة

1- الحداثة

لم تكن الحداثة في يوم من الأيام طفرة في الزمن. أي أن لها امتدادات فيما قبل الحداثة، حسب التصنيف المعروف. لهذا قال يورغن هابرماس إن "الحداثة مشروع لم يكتمل" (هابرماس 2012، ص 183)، ليؤكد أنها تخترق حقبا كثيرة حتى خارج الأزمنة، التي تواضع الجميع على تسميتها بالحداثية، يقول هابرماس "إن من يجعل الحداثة تبدأ نحو 1850، مثل أدورنو، إنما ينظر إليها بعيون بودلير والفن الطليعي. اسمحوا لي بأن أبين مفهوم الحداثة الثقافية هذا من خلال نظرة موجزة على ما قبل تاريخه الطويل الذي أضاءه هانز روبارت يوس. إن لفظة حديث قد استُعملت أول مرة في أواخر القرن الخامس الميلادي من أجل تمييز الحاضر، الذي أصبح في تلك اللحظة مسيحيا على نحو رسمي عن الماضي الروماني الوثني. وبمضامين متغيرة تعبر الحداثة دائما – من جديد – عن الوعي بحقبة ما، تتحدد إضافة إلى ماضي الحقبة القديمة، من أجل أن تُتصور هي ذاتها بوصفها نتيجة انتقال من القديم إلى الجديد. وذلك لا يصدق فقد على عصر النهضة، الذي معه تبدأ الأزمنة الجديدة بالنسبة لنا" (هابرماس 2012، ص 184).

هكذا يكون هابرماس قد قطع مع المفهوم التقليدي للحداثة، التي يتم حصرها في أزمنة محددة، بينما يقوم بتحديدها عبر معيار الجدة، التي تنفصل عن ماض معين في كل زمن، وبالتالي تكون الحداثة في هذا المستوى هي الوعي بحقة جديدة في علاقة مع حقبة قديمة، غير أنه في القرن التاسع عشر تم إطلاقها على الوعي الذي تخلص من العلاقة مع الروابط التاريخية حيث جعلها في تقابل مع التراث ومع التاريخ.

لكن رغم اعتباره أن الحداثة تخترق كل الأزمنة، إلا أن هابرماس يستدرك فيما بعد ليقول "إن لفكرة الحداثة أواصر وثيقة مع تطور الفن الأوروبي، لكن ما يسمى مشروع التنوير لا يبرز للعيان إلا متى أقلعنا عن الاقتصار على الفن الذي نمارسه لحد الآن" (هابرماس 2012، ص 188)، وتصدى في الآن ذاته لنقد ماكس فيبر، الذي "وصف الحداثة الثقافية بالقول إن العقل الجوهري الذي عبر عن نفسه من خلال رؤى العالم الدينية والميتافيزيقية قد انقسم إلى ثلاث لحظات لا يُمسك بها إلا مجتمعة إلا على نحو صوري. ومن

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

حيث أن رؤى العالم تنهار، وتتفتت المشاكل التقليدية على وجه الخصوص من زاوية نظر الحقيقة والصحة المعيارية والأصالة أو الجمال حتى يمكن أن تعالج تواليّا بوصفها مسألة معرفة وبوصفها مسألة عدالة تم بوصفها مسألة ذوق، فقد بلغ الأمر في العصور الجديدة إلى التفريق بين دوائر قيم للعلم والأخلاق والفن" (هابرماس 2012، ص 188).

وقد وقف هنا في هذا الاستدراك ليجعل من الحداثة مشروعا أوروبيا، لم يغادر من خلاله سليل مدرسة فرنكفورت أطروحات المركزية الأوروبية. ولهذا انتقد "القيم المشتركة" عند الآسيويين (هابرماس 2002، ص 221).

وخلافا لهابرماس يرى جون بيار سوغان "أن ظهور كلمة الحداثة في وقت متأخر، وبشكل أعم مشتقاتها، يبدو غريباً عند النظر إليه اليوم: ألم يطرح جدل القدماء والمحدثين مسألة الحداثة في وقت مبكر جداً، ألم يطور عصر التنوير، من فونتينيل إلى كوندورسيه، أيديولوجية التقدم؟ لم يكن رواد عصر التنوير، الذين تبنوا بسرعة مصطلح "المحدثين" السائد، مدركين بأي حال من الأحوال أنهم على أعتاب حقبة جديدة، بل على العكس، شعروا أن البشرية، بعد أن مرت بمرحلتي الشباب - العصور القديمة - والنضج - عصر النهضة - قد دخلت مرحلة الشيخوخة" (Jean-Pierre Seguin 1994 ; p 39). أي ما يُنظر إليه حداثة يراه آخرون بداية نهاية كل هذا المسار من التنوير.

يستمر في سياق المناكفة حول "زمانية" الحداثة ليقول "قبل عام 1800، لم يكن للحداثة أي فرصة. فعدم الثقة الذي ساد القرن الثامن عشر تجاه شكلٍ معين من التجريد راسخٌ في أذهان الناس. حتى أكثر اللغويين ميلاً إلى الميتافيزيقا يشهدون على ذلك في مقال التجريد في الموسوعة. إن كلمات الإنسانية والجمال والحقيقة تُبعدنا عن تعاليم الطبيعة، والمذهب المدرسي مسؤولٌ عن ذلك" (Jean-Pierre Seguin 1994 ; p 40)، إذ أن هؤلاء الفلاسفة كانوا "يعتقدون أنه كما يأتي الضوء من الشمس، وكما لا يسخن الماء إلا بالنار، فكذلك الإنسان لا يكون إنساناً إلا بالإنسانية، وأن الجمال لا يكون جميلاً إلا بالجمال، والخير بالخير، وأنه لا شيء صحيح إلا الحقيقة. قالوا: الإنسانية، ومن ثم الإنسان؛ وكذلك الجمال، ومن ثم الجميل. لكن هذه ليست الطريقة التي تُعلمنا بها الطبيعة؛ فهي لا تُظهر لنا في البداية إلا الجانب المادي."(Jean-Pierre Seguin 1994 ; p 41) ، وهكذا يتم ربط الحداثة برؤية العالم من خلال الفن والسلوك في الحياة.

بشكل عام، فإن "مفهوم الحداثة الذي ناقشه كل من المنظرين الكلاسيكيين للحداثة والمفكرين المعاصرين ، هو مفهوم شامل متبادل وليس حصريًا. ونتيجة لذلك، ووفقًا لهؤلاء المفكرين، تتكون الحداثة بشكل أساسي من أربعة أبعاد مؤسسية رئيسية: الرأسمالية، والتصنيع، والسلطة الإدارية، والقوة العسكرية. ومن خلال النظر إليها معًا، يمكن فهم السمات المركزية للحداثة. هذه الجوانب الأربعة للحداثة معولمة، وبالتالي فإن للحداثة طبيعة عالمية. إلى جانب هذه الجوانب الأربعة للحداثة، يمكن إيجاد خصائص مثل مفهوم جديد للذات قائم على الفردية، والتفكير العقلاني والعلمي، ونشأة الدولة القومية الحديثة ونموها، وانتشار التعليم، ونشأة وسائل الإعلام الجماهيرية وانتشارها، ونشوء الطبقة الوسطى، وصعود الديمقراطية التمثيلية، وتزايد الفصل بين المجالين العام والخاص أو نمو فكرة الخصوصية، وأيديولوجية التقدم والتنمية، وتزايد دور الصناعة الحديثة، وتوسع التكنولوجيا، وانتشار التمدن، وصعود العولمة" (Abraham Tsehay Jemberie 2019; p 114).

ولقد " نشأت الحداثة وتطورت عبر تحولات تدريجية قضت على البنيات والأفكار التقليدية القديمة، وأحدثت قطيعة معها، وأسست لتصور جديد للعالم يختلف ويتجاوز نهائيا التصورات السابقة. فقد كانت مفهوما حضاريا شامل لجميع المستويات المرتبطة بالوجود الإنساني سياسيا واقتصاديا واجتماعيا" (سعد بوترعة 2018، ص 401)، وهذه التطورات هي التي جعلت منها مشروعا غير مكتمل.

إن غياب توافق بين المفكرين الكلاسيكيين والمحدثين على معنى واحد للحداثة جعل منها حداثات متعددة تنطوي تحت صنفين: الحداثة الصلبة والحداثة السائلة.

1- الحداثة الصلبة

استقر التعريف الرائج للحداثة هو ما جاء على لسان ماكس فيبر، أي "نزع السحر عن العالم"، وهو ما تلقفه مارسيل غوشيه فبنى عليه أطروحته الكاملة، وإن كانت العبارة الأولى وردت على لسان فريدريك نيتشه.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

إن "عبارة "نزع سحر العالم" مقتبسة من ماكس فيبر، الذي تحدث عن أفول المعتقدات السحرية والروحانية حول الطبيعة كجزء من عملية "العقلنة" الأعمّ، التي رآها السمة المميزة للحداثة في الغرب. في محاضرته بعنوان "العلم كمهنة" (1917)، وفي مقدمة دراساته حول علم اجتماع الدين التي كتبها في أواخر حياته (1920)، طرح فيبر الأسئلة التالية والتي اعتبرها ملحة وأساسية: كيف نفسر ظهور سلسلة من الممارسات والمعتقدات المترابطة في الغرب، والتي تقوم على إمكانية الوصول المسبق إلى الطبيعة من خلال الحساب العقلاني والتحكم العقلاني؟ لماذا رافقت عملية العلمنة ازدياد في العمل العقلاني الهادف في الغرب؟ ما هو أثر مفهوم الكمال، الذي اقتُلع من سياقه المقدس، وأصبح يُفسَّر كشكل من أشكال التقدم الباطني، ذي طبيعة تكنولوجية ونطاق لا نهائي، على منظومة القيم الحديثة؟" (Anthon J. Cascardi 1992; P 16).

الحداثة الصلبة مرتبطة بهذه الصرامة العقلانية المرتبطة بالعلمنة والسياق التشريعي خارج الاطار الديني، ولهذا يعد كتاب مارسيل غوشيه "نزع السحر عن العالم محاولة لسبر أغوار ذلك المنطق الغامض وتطوره عبر التاريخ. ويحتل الدين موقعا محوريا في هذا التحليل، نظرا لتأثيره العميق في صياغة مسار الثقافة الغربية (قاسم شرف 2026، ص 140). الحداثة الصلبة إذن هي حداثة القطع مع كل الأنماط الثقافية التي كانت سائدة قبل تاريخ ميلاد المصطلح حتى لو كانت من اختراقات الحداثة للتاريخ.

ولهذا من المهم الإشارة إلى أن مصطلح "الحداثة" نفسه يثير عددًا من المشاكل. كمصطلح تاريخي، تميل الحداثة إلى إثارة استنتاجات متناقضة، فبينما أرجع بعض النقاد تأثيرات مهمة إلى أواخر القرن التاسع عشر، يركز منظرو الأدب الأنجلو-أمريكي في الغالب على الطفرات الفنية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى. وبناءً على ذلك، أشار بيتر نيكولز إلى أن "بدايات الحداثة، مثل نهاياتها، غير محددة إلى حد كبير، فهي مسألة آثار أكثر من كونها لحظات تاريخية محددة بوضوح. كما حاول برادبري وماكفارلين تفسير الصعوبة التي يواجهها مؤرخو الأدب الذين يحاولون "إيجاد مكان أو تاريخ واضحين" لهذه الحركة، بالإشارة إلى أن "الطبيعة غير المباشرة للحداثة" قد تكون هي التي أدت إلى مثل هذه التفسيرات المبهمة. وبعبارة أخرى، من أجل تحليل البنى المعقدة للحداثة، يجب توسيع تعريف هذه الحركة ليتجاوز التصنيفات التاريخية الواضحة أو الالتزامات الجمالية والأيديولوجية (Annelies Häcki 2007 ; P12) .Buhofer

من هذا المنطلق، الذي تمكن من خلاله مفكرو العصر الحديث، يكشف هذا التعريف أن مصطلح "الحداثة يُظهر قطيعة حاسمة مع الأطر المرجعية السابقة. علاوة على ذلك، يُلفت الانتباه إلى التوترات والصراعات التي تنشأ عند مقارنة الحداثة بالقديم. من هذا المنظور، لا تعني الحداثة مجرد الابتعاد عن الماضي، بل تعني أيضًا الشعور بأزمة تاريخية، قد تؤدي في نهاية المطاف إلى قطع أي صلة عضوية بالتاريخ ما قبل الحداثة. ويُشارك برادبري وماكفارلين هذا الرأي أيضًا، إذ يُلقي تحليلهما لشعور الحداثيين الخاص بالمعاصرة الضوء على فهم الفرد الاجتماعي التاريخي لهذه الحقبة. ويلاحظان أن تجربة الفرد للحداثة تستحضر ظواهر مثل الشعور بالمشاركة في أزمنة جديدة تمامًا، وإيجاد أهمية فردية في التاريخ المعاصر، بدلًا من التقاليد، أو إدراك أنها تُشكل وعيًا جديدًا، وحالة جديدة للعقل البشري" (Annelies Häcki .Buhofer 2007; P13)

ويمكن أن نعزو هذا الشعور بالجدة، الذي يتخذ دور القطيعة الجذرية مع الماضي، إلى سلسلة من المراجعات للنظرات العالمية التقليدية والتحولات الاجتماعية والبيئية الملموسة. ففي القرن التاسع عشر، ارتبطت الحداثة ببيئة سريعة التغير. وفي هذه الظروف الجديدة بوصفها مشهدًا ديناميكيًا لمحركات البخار، والمصانع الآلية، والسكك الحديدية، والمناطق الصناعية الجديدة الشاسعة والمناطق الصناعية الجديدة الضخمة والمدن المكتظة التي نمت بين عشية وضحاها، تتجلى أهمية هذه التحولات الصناعية بالنسبة للحداثة في تحليل ثيودور أدورنو للأدب الحديث. ويجادل بأن "الفن يكون حديثًا عندما يستوعب، من خلال أسلوب تجربته وكتعبير عن أزمة التجربة، ما طورته الثورة الصناعية"، ويرى أدورنو "أنه بالرغم من تحرر الفنان منذ 1910 عند تناوله موضوعات متنوعة مما أكسبته حرية جديدة لم تكن متاحة له من قبل، فهو بذلك " ينتهج نهجا مغايرا لمفاهيم الفن التقليدي وآلياته " هذا الفن ليس بالفن الحقيقي المقصود، باعتباره تحيط به شكوك، خاصة بعد ظهور الإمبريالية بسيطرتها الاقتصادية، وبالتالي أصبحت تهيمن على الحياة الإنسانية ككل، ومما زاد في جعل الفن موضع شك هو استخدام السلطة والشركات الاستهلاكية الفنون كأداة لترويج

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

منتجاتها، وأصبح الفن مرادفا للدعاية والإعلان، وتضاءلت مساحة الفن الحقيقي، الذي لا يستخدم كأداة في يد المؤسسات" (عماري أبوبكرالصديق 2024، ص 311).
واهتم بالحداثة في صيغتها الصلبة مفكرون كانوا واعين بدور التحولات في تحديد مصير "الحداثة"، بمعنى الحداثة الصلبة ليست هي الحداثة التي لا يمكن تجاوزها، ويمكن للتمثيل لذلك بأعمال مارشال بيرمان، كما يتجلى ذلك في كتابه "كل ما هو صلب يذوب في الهواء"، الذي كان له حضور طاغي، وكان ورمزًا، ومرجعًا أساسيًا للدراسات الثقافية المعاصرة في تلك الفترة. وكان ماركس، بالنسبة لبيرمان، الشخصية المثالية للحداثة والحداثة، حيث تتداخل التناقضات والطموحات والحماس لهذه الأشكال الاجتماعية. وتمثلت مهمة بيرمان في السعي إلى الحفاظ على هذه التوترات، بحيث تحافظ الحداثة على إحساسها بالوعد والتهديد على حد سواء بل ربما كان الوعد فيها يفوق التهديد: فالحداثة هنا كانت بمثابة متعة (Peter Belharz 2016; p 292).
فبالنسبة لبيرمان، فإن "ثنائية الحداثة/التحديث لا مفر منها، وكل هذا يُشكل دوامةً عاتية. الحداثة هي الموقف الذي نتقبل به هذا الاضطراب والتقلب؛ تصبح طبيعةً ثانية، على أقل تقدير. يصبح التحديث شرسًا، كالإعصار، وهو أمرٌ مثيرٌ ومُدمنٌ في الوقت نفسه. في شكله المتطرف، أصبح هذا الاتجاه، يقصد اتجاه الحداثة، معروفًا في القرن العشرين باسم المستقبلية" (Peter Belharz 2016; p 295)، من هنا نجد أن التحديث في كافة المجالات، والصناعة برمتها، والصناعة الحربية والتقنية المتطورة لا تنفك عن الحداثة، غير أن "الحداثة الصلبة" كمفهوم ليست هي الواقع كما نتصوره ولكن كما يتصوره كل واحد منا، كما هو الحال ربما مع عبارة "كل ما هو صلب"، فإن "المغزى ليس ما قصده ماركس أو مترجمه، بل ما نُضفيه نحن، كقراء أو مستهلكين مبدعين للصور، عليها. نحن في الغرب نهوي كالشمس الغاربة، ليس أقلها بسبب غطرسة السعي للسيطرة على العالم، وتوظيفه لأغراضنا التكنولوجية بدلاً من تركه يتنفس" (Peter Belharz 2016; p 298).
وسيظهر الربط الواضح بين الحداثة والصناعة التقنية مع ظهور كتاب زيجمونت باومان "الحداثة والمحرقة"، الذي أصبح منذ ذلك الحين من كلاسيكيات الأدب الحديث. و"تكمن الفكرة المحورية هنا في اقترانهما. فكلمة "و" هنا تعني كل شيء: ليسا متطابقين، لكنهما مرتبطان بالضرورة. كانت المحرقة عصية على الفهم دون الإشارة إلى آلياتها، وظروفها المادية والتنظيمية: نمط صناعي للتدمير الشامل وأشكال بيروقراطية في مقدمتها، بالإضافة إلى أيديولوجية معاداة السامية. باختصار، كان تحليل باومان متعدد الأبعاد، ذا طابع اجتماعي واضح في كل من السياقين السائد والنقدي. وقدّم استعارة البستنة خيطًا من الاستمرارية: اليهود كانوا بمثابة الأعشاب الضارة التي يجب على النازيين المُحدِّثين استئصالها. لم تفارقه أبدًا شخصياته الخاصة، كالسائح والمتشرد، والسيد والعبد، مثل ليفي شتراوس وآكل لحوم البشر، وماري دوغلاس والقذارة"(Peter Belharz 2016; p302).
شكل زيجمونت باومان لحظة تحول كبيرة في فهم الحداثة، التي كما قلنا هي حداثات متنوعة، ولتأصيل فهم جديد أبدع مفهوم "الحداثة السائلة" كما سنرى في الفقرة القابلة.

2- الحداثة السائلة

إذا كانت الحداثة، عند هابرماس، مشروعا غير مكتمل، فإن الحداثة السائلة، عند زيجمونت باومان، هي "تسوية مؤقتة عابرة يشوبها الخلل والنقصان وعدم الاكتمال، كأنها فاصل زمني بين استجابتين بارزتين ومختلفتين تتسمان بالاستاق والكمال والدوام إزاء تحديات الوجود الإنساني" (زيجمونت باومان 2000 ص 24)، ووصف باومان هذه المرحلة بما يسمى في علم السياسة عند الأوروبيين "فترة خلو العرش"، وهي فترة انتقالية صعبة قد تأتي ببديل أو وريث للعرش يواصل السير على النهج نفسه أو يكون له أسلوبه الخاص أو تعصف بكل شيء.
ويميل باومان إلى "الاعتقاد إلى أنها فترة تتعطل فيها الممارسات القديمة، ولا تصلح فيها أنماط الحياة القديمة المتوارثة أو المكتسبة في التعامل مع الوضع الإنساني الراهن، لكنها أيضا فترة تشهد ميلاد الممارسات الجديدة وتفعيلها من أجل التعامل مع أنماط الحياة الجديدة وتحدياتها على نحو أفضل يتلاءم والظروف الجديدة" (زيجمونت باومان 2000 ص 24) ، فميلاد الممارسات الجديدة لا يعني ثباتها على حالها، ولكن انتقالها إلى مرحلة أخرى، أي تتوفر على القابلية للتغير الدائم، وكي يكون "المرء من أهل

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الحداثة لابد من أن يأخذ بالتحديث، وأن يعكف عليه ويفرضه، فلا يكفي للتحديث أن (يكون)، وأن تبقى هويته على حالتها الأصلية الكاملة، بل لابد من أن يدخل عالم الصيرورة الدائمة، رافضا الاكتمال والتعريف التام" (زيجمونت باومان 2000 ص 26).

لقد صارت الحداثة ظاهرة العصر، لا يمكن أن نفكر خارجها، فهي تمتاز بقدرتها على التمظهر وفرضها للتغيير الدائم في حياة الفرد والمجتمع والعالم، إنها من فرض الحياة السائلة التي لا تعرف التوقف فهي كسيل يجري لا ينضب، لم تعد المجتمعات في زمن الحداثة تفكر في اللحظة الزمنية الراهنة، لأنها تتجاوزها بمجرد التفكير فيها، هناك تحولات متسارعة لا يمكن توقفها، وربما هذا ما دفع باومان لأن يؤكد أن زمن الحداثة ليس زمن ثابت، فبمجرد ما انخرط الانسان المعاصر في زمن الحداثة، حتى وجد نفسه يفكر في زمن ما بعد الحداثة، إن الحداثة تفلت منا بمجرد ما إن أردنا أن نقبض عليها (عبد الغني بوالسكك 2022 ص 361).

قد يكون مفهوم الحداثة السائلة جديدًا على الكثيرين. بحسب عالم الاجتماع والفيلسوف زيجمونت باومان، حيث يذوب المجتمع الحديث ويصبح سائلاً، وهو ما يُعرّفه بالحداثة السائلة. ويُطلق باومان على هذا الأخير اسم "التغيير هو الثابت الوحيد، وعدم اليقين هو اليقين الوحيد". والحداثة السائلة تقع، عند باومان، مقابل عصر "الوسائل الآلية" أو الحداثة "الثقيلة"، أي "الحداثة التي تحتفي بكل ما هو ضخم، حداثة ترى أن الأضخم هو الأفضل، والضخامة قوة، والتوسع نجاحا. كان ذلك عصر الوسائل الآلية، عصر الآلات الثقيلة التي تزداد وزنا وضخامة يوما بعد آخر، عصر أسوار المصانع التي تزداد ارتفاعا يوما عن آخر، وتحيط بأراضيها التي تتسع رقعتها على الدوام، وتستوعب باستمرار أعدادا غفيرة من العمال، عصر محركات السكك الحديدية الضخمة، والسفن العملاقة العابرة للمحيطات" (زيجمونت باومان 2000، ص 176).

يبدو الربط واضحا بين الحداثة الصلبة والصناعات الثقيلة، تمهيدا للربط بين الحداثة السائلة والصناعات السائلة، التي تتمظهر في الثورة التقنية وما نتج عنها من صناعات وصلت حد الذكاء الصناعي، وربط بين الحداثة الثقيلة والحاجة إلى الزمن الثقيل، زمن المعمل الذي يحتاج إلى وقت طويل قصد الإنجاز، بينما الحداثة الخفيفة، التي سيطلق عليها فيما بعد الحداثة السائلة، أي عصر البرمجيات، حيث "يبدو أن أهمية الزمن، باعتباره وسيلة للحصول على القيمة، باتت لا متناهية تقريبا، وذلك في ضوء التأثير المحير الذي ينتج من رفع أو بالعكس خفض قيمة جميع الوحدات الزمنية في نطاق الأهداف المحتملة، فانتقلت علامة الاستفهام من طرف الوسيلة إلى طرف الغاية" (زيجمونت باومان 2000، ص 182)، وهنا الحديث عن إمكانية الوصول إلى جميع أرجاء المكان في الفترة الزمنية نفسها، وبالتالي لا يبقى للمكان أية أهمية في هذا السياق.

لكن باومان كان دقيقا في تحديد الفارق، الذي لا يشكل قطيعة، إذ في نظره أنه "لم يتغير شيء في رحلة الانتقال من الحداثة الثقيلة إلى الحداثة الخفيفة. كل ما في الأمر أن الإطار قد امتلأ بمحتوى جديد، فالسعي نحو الاقتراب من أسباب اللا يقين قد انحصر في آنية فعلية واحدة وتمركز حولها. فمن يتحركون ويتصرفون أسرع من غيرهم، ومن هم أقرب إلى لحظية الحركة، هم الآن الحاكمون، أما المحكومون فهم من لا يستطيعون الحركة بسرعة" (زيجمونت باومان 2000، ص183).

فالحداثة السائلة لا ترى للزمن الأبدي أي دور، وبذلك حل مصطلح الأجل القصير محل مصطلح "الأجل الطويل"، وجعل الآنية مثله الأسمى. فالحداثة المائعة "تذيب زمنها، فتحط من قدره وتنتقص من أهميته، وهي في الوقت نفسه تجعل من الزمن حاوية ذات سعة لامتناهية" (زيجمونت باومان 2000، ص190).

وكما استطاعت السيولة أن تنتقل من الفكر إلى الصناعة انتقلت إلى أدوات السيطرة وخصوصا السيطرة بالقوة، فكما توجد الحداثة الصلبة والحداثة السائلة توجد الحرب الصلبة والحرب السائلة. وهو ما سنرى في الفقرات القابلة.

تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة الصلبة

1- الحرب في الحداثة الصلبة

تباينت آراء فلاسفة الحداثة حول الحرب وأدواتها، باختلاف الرؤية للتاريخ والوجود، فكانط، الذي كتب ما يشبه بيانا من أجل السلام العالمي، لم يستبعد الحرب كطريق للسلم، حيث قال "ليس في وسع الدول إذا

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أرادت أن تدافع عن حقها، أن تعمد إلى التقاضي، كما يفعل الناس أمام المحاكم، وإنما سبيلها الحرب" (كانط 1952، ص 55)، ويراها توماس هوبز أنها حالة طبيعية ومبررة والحرب ضرورة حتمية لحماية البقاء (بلدي عثمان عبد المجيد 2018، ص 75)، بينما يراها هيجل ضرورة لحركة التاريخ، وأداة لتطهير المجتمعات كما تمنع الأمم من التلاشي والجمود.

لقد ظلت العلاقة بين الحداثة والحرب مطبوعة بنوع من العلاقة الجدلية، التي تؤثر فيها الواحدة على الأخرى، فقد تمكنت الحداثة من استغلال الثورة الصناعية والتقنية في خلق تطور كبير في مجال الحرب، بينما ساهمت الحروب في تطوير أفكار الحداثة التي أعادت من جديد ترتيب مداركها.

يقول غاستون بوتول "الحرب هي العامل الأساسي من عوامل ذلك التقليد الجماعي الذي يؤدي دورا عظيما جدا في ضروب التحول الاجتماعي. إنها تنتهي إن عاجلا وإن آجلا بإرغام الدول الأكثر انغلاقا على الانفتاح" (غاستون بوتول 1981، ص 6)، لقد ترسخ مفهوم الحرب كأداة لدى مفكري وفلاسفة الحداثة، أي أنها ليست فقط وسيلة للدفاع عن النفس، ولكن وسيلة لزرع القيم الجديدة داخل المجتمعات التي تصفها الدول التي انطلقت منها موجات الحداثة بالمنغلقة.

وبعد أن يعرج على تاريخ الحرب كمفهوم ويسرد كل التعريفات التي منحها إياها المفكرون وحتى رجال الدين، يخلص إلى "أننا ضحايا للبداهة الكاذبة للحرب، ولبواعثها المختلطة غالبا بقضايا على وجه الخصوص. إن العقلية السحرية التي طُردت من العلوم الفيزيائية أخيرا التجأت إلى الأشياء الاجتماعية في أيامنا هذه" (غاستون بوتول 1981 ص 47)، فالحداثة استعاضت عن العقلية السحرية والخرافات بالأشياء الاجتماعية، التي جعلت منها دافعا ومبررا للحرب.

إن "مشكلة الحرب منذ ألف سنة مما نعد لم تستطع أن تخرج من دوامتها: فهي تتردد بين نزعة الوهم القضائي وحب السلم الذي يداعب الأجفان تم تفضي إلى النتيجة التي يلخصها المثل الروماني القديم: (إذا أردت السلام فأعدّ للحرب)" (غاستون بوتول 1981 ص 49)، التي اعتبرها الكاتب ضرب من الوباء الاجتماعي، ولهذا لا تخرج الحداثة عن أن تعتبر أن الظروف الراهنة ليس لنا فيها إلا الإعداد للحرب وزيادة التسلح أو انتظار اندلاع الحرب، وإما الإقرار بأنها ظاهرة اجتماعية تستحق الدراسة وبالتالي البحث عن الوقاية منها.

فمنذ أفلاطون، تمثلت المقاربة الغربية للحرب في اكتشاف حقائق موحدة وثابتة ومطلقة من خلال تحليل دقيق وعقلاني، يمكن تطبيقها على أي حالة نزاع. و"مع بزوغ فجر العصر الحديث في التاريخ الغربي، الذي غدته قناعة عصر التنوير بالعلم وإمكانية الكمال، ودمج التقدم الصناعي والعلمي، وصلت دراسة الحرب إلى مستواها الحالي من التطور. ولعدة قرون، رسخت القوات العسكرية الغربية إيمانًا راسخًا بالتطبيق السليم للحقائق الأساسية المتعلقة بالحرب لضمان النصر على العدو. ويتجلى جوهر المقاربة الحداثية للحرب في رسالة كارل فون كلاوزفيتز في القرن التاسع عشر، في الحرب. وبصفته رائدًا للحداثة، بدا أن كلاوزفيتز يُبرهن على أن الجهد الفكري والتحليل العلمي الدقيق يمكن أن يُفضي إلى العناصر الأساسية للحرب. وتعكس أفكار كلاوزفيتز إيمانًا راسخًا بأنه حتى في خضم فوضى الحرب، يمكن معرفة الكثير مما يحدث وفهمه من خلال التطبيق السليم للعقل والمنطق" (Trevor N. Dupuy 1987 ; p 22).

وفي هذا كان الجنرال كلاوزفيتز واضحا في تعريف الحرب بأنها "عمل من أعمال القوة لاجبار العدو على تنفيذ مشيئتنا. القوة وكي تجابه القوة المعادية، تجهز نفسها بما يتاح لها من مبتكرات العلوم والفنون" (الجنرال كارل فون كلاوزفيتز 1817 ص 103). هناك اقتران واضح بين الحرب وبين منتجات الحداثة، والحديث عن المنتجات هو حديث عما تولّد عنها، وفي الحداثة الصلبة كان هناك بحث عن الأدوات الصلبة من أجل الانتصار في الحرب، ولهذا فإن "المبادئ الأساسية للعقيدة الحداثية - العقل والعلم والتكنولوجيا والإدارة البيروقراطية الذكية التي ستضمن التقدم - هي جوهر مبادرات التحول العسكري الغربي الحالية"(Office of the Secretary of Defense 2004 ; p6) إن النهج الحداثي للحرب، بمبادئه الأساسية التي تتلخص في استخدام قوة ساحقة ضد مركز ثقل العدو، ووجود هدف سياسي محدد بوضوح، ودعم الشعب، لا ينطبق على الطبيعة الفردية والمتغيرة باستمرار للحرب ما بعد الحداثية، لهذا لا يتوانى في ممارسة القوة الصلبة عبر أبرز أدواتها ألا وهو العنف.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

2- العنف في الحداثة الصلبة

عندما تطلع الفكر الغربي الحداثي إلى تحديد فهم للدولة، اعتبرها على لسان ماكس فيبر أنها الكيان الذي يحتكر العنف المشروع، يقول في هذا الصدد "لا يمكن تعريف الدولة سوسيولوجيا من مضمون ما تفعله. إذ نجد بالكاد مهمة لم تكن هنا أو هناك الشغل الشاغل لتجمع سياسي. ومن جهة أخرى لا نجد كذلك أي مهمة يمكن القول عنها إنها كانت باستمرار، أو إنها كانت حصريا بيد التجمعات التي يمكن القول عنها إنها كانت سياسية، أي ما نسميه اليوم بالدول التي كانت تاريخيا أسلاف الدولة الحديثة. بإمكاننا في نهاية الأمر تعريف الدولة الحديثة سوسيولوجيا انطلاقا من وسيلة نوعية خاصة بها، كما هي خاصة بأي تجمع سياسي: الوسيلة هي العنف الطبيعي (الفيزيائي). إن كل دولة تقوم على العنف" (ماكس فيبر 1917، ص 262)، فالعنف هنا في هذا المستوى هو الوسيلة النوعية للدولة، وقد أمكن إذن تعريفها من خلاله بعد أن ظلت مستعصية على التعريف من خلال علم الاجتماع. حيث اعتبر فيبر أن العنف ليس الوسيلة الوحيدة للدولة بل وسيلتها النوعية.

وهكذا فالدولة هي "الجماعة الإنسانية التي تدّعي داخل أرض محددة وبنجاح حقها باحتكار العنف الطبيعي المشروع، علما أن مفهوم الأرض هو معلم من معالم الدولة. إذ ما صار مزية يتميز بها عصرنا الحاضر هو أن لا تمنح التجمعات الأخرى أو الأشخاص الأفراد الحق باستخدام العنف الطبيعي إلا بقدر ما تسمح لهم الدولة بذلك" (ماكس فيبر 1917، ص 263)، وتقر الحداثة هنا مشروعية العنف من قبل الدائرة السياسية التي تمتلكه، أو من خلال من يتم تفويضهم ذلك من قبلها. حيث يعتبر فيبر "السياسة بالنسبة إلينا تعني السعي من أجل المشاركة بالسلطة، أو من أجل التأثير في توزيع السلطة، سواء كان ذلك بين الدول أو كان بين مجموعات مختلفة داخل الدولة التي تضمهم" (ماكس فيبر 1917، ص 263). فتفويض حق ممارسة العنف، يمارس دائما باسم من يملك السلطة، رغم أن المسمى هو الدولة، ولكن قد يكون القائد أو يكون جماعة من المتنفذين، والتفويض لا يقتصر على العنف الداخلي لضبط المجتمع، الذي تخلى عن ممارسة العنف لفائدة الدولة، ولكن يمكن تصريف فائض القوة كعنف ممارس من دولة ضد دولة أخرى.

وكدليل على أن الحداثة ارتبطت بالعنف أن الناقد دباراتي سانيال خصص كتابا كاملا حول دور الإبداع في مواجهة عنف الحداثة، حيث يتناول تيارًا أدبيًا يستخدم السمات التقليدية للحداثة كالسخرية، والتناص، والتأمل الذاتي، والشكلانية لتحدي العنف التاريخي للحداثة وأسسها. حيث اعتبر أن بودلير والكتاب الساخرون الملتزمون الذين كتبوا على نهجه يعلموننا كيف نقرأ عنف التاريخ ونقاومه، وبالتالي نتحدى النبرة الكئيبة لثقافة "الجرّاح" المعاصرة. في سلسلة من القراءات المُثيرة للتفكير، ويُقدّم سانيال شعر بودلير كشكل جمالي يُنازع العنف التاريخي من خلال استراتيجيات بلاغية للتواطؤ، والعنف المُضاد، والنقد (Debarati Sanyal 2006).

ولم يفترق العنف عن الهيمنة بكافة أشكالها، باعتباره صنو لها، حيث أنه "لأكثر من قرنين من الزمان، مارس الغرب هيمنة غير مسبوقة في العالم الحديث. آثارها القوية منتشرة في كل مكان. يكاد لا يوجد جانب من جوانب حياة المجتمع العالمي المعاصر لم يتأثر بنفوذ الغرب الواسع: من السياسة إلى الاقتصاد، والأفكار الفكرية، والعلوم، والتكنولوجيا، والفنون، وغيرها الكثير - جميعها تحمل بصمة واضحة لتأثير الهيمنة الغربية. إن مفاهيم التحديث والحداثة، التي تُعد جزءًا لا يتجزأ من العالم المعاصر، هي سمات مميزة للثقافة الغربية" (Gennady Shkliarevsky 2015; p 299).

فقلما تجذب مخاوف مشروع الحداثة ومنتجاتها وما أحاط بها اهتمامًا أكبر من استمرار العنف. حيث "يفصلنا أكثر من قرنين عن الزمن الذي تأمل فيه إيمانويل كانط في قدرة العقل على خلق سلام أبدي، وقد شهدنا العنف على نطاق صناعي. لقد تخلت الثورة الفرنسية الكبرى عن مُثُل الحرية وحرمة الحقوق لصالح عنف عهد الإرهاب والحروب النابليونية" (Gennady Shkliarevsky 2015; p 301).

ففي سياق تطور الحداثة الغربية تنازلت دولة خرجت منها شعارات الحرية ومثلها، لفائدة العنف المبني على القدرات الصناعية، بحثا عن المجد الامبراطوري.

ورغم الجهود الحثيثة لاحتوائه، والتحكم في مخرجاته، والسيطرة على أدواته "يبقى العنف متفشياً في كل مكان. ويستمر في الظهور في أماكن لا نتوقعها. وعدت مُثُل عصر التنوير بعالم يسوده السلام والعدل والتسامح. ومع ذلك، لم تستطع منعه، بل كما يرى البعض، ساهمت في رعب الثورة الفرنسية والاستعمار

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

والحروب العالمية ووحشية الإبادات الجماعية. في محاولتنا لفهم الحروب والجرائم والانتهاكات والتعذيب، نسعى إلى تأكيد قوة الكلمة والعقل البشري وتفوقهما على العنف. ومع ذلك، يبدو أن العقل والكلمة عاجزان أمام العنف. فعلى الرغم من كل الجهود، يبقى العنف بمنأى عن كلماتنا وأفعالنا؛ فهو دائماً ما ينجح في الإفلات من قبضتنا. إنه، كما وصفه ديفيد بيل ولورانس شير، جزء لا يوصف من وجودنا ولا يمكن احتواؤه، ولا يمكن تمثيله، وفي نهاية المطاف لا يمكن السيطرة عليه (Gennady Shkliarevsky 2015; p 306).

لقد أضحى العنف في مسار الحداثة جزءا من هويتها، وأصلا من ثقافتها، لهذا ظل البحث دائما عن إيجاد خلاص منه، فـ"عملية البناء وعلاقتها الجوهرية بوعينا، وفهمناها، فلن نضطر بعد ذلك إلى تجربة خوف لا يمكن السيطرة عليه من فقدان الواقع. سيفقد الارتباك والضياع المصاحبان لظهور مستويات جديدة من تنظيم الواقع الكثير من تأثيرهما الصادم إذا فهمنا أننا لا نفقد الواقع في لحظات الانتقال هذه؛ بل إنها تُدخلنا في اتصال وثيق وحميم مع العملية التي هي مصدر وجودنا واقعنا الحقيقي. لن نضطر بعد ذلك إلى تجربة الخوف خلال هذه التحولات. إذا فهمنا المصدر الداخلي لانزعاجنا وكنا قادرين على استخدام قدراتنا النقدية للسيطرة عليه، فلن نحتاج بعد ذلك إلى اللجوء إلى العنف ضد "عدو" خارجي وهمي كوسيلة للتعامل مع مخاوفنا؛ ولن نضطر بعد ذلك إلى الانخراط في جهد دؤوب وعقيم تمامًا للتعامل مع هذا الخوف. لن يستمر العنف، في التدمير العبثي، الذي لا معنى له (Gennady Shkliarevsky 2015; p 313).

كل نُقّاد الحداثة يعترفون بأن العنف مكون أساسي من مكوناتها التي بواسطتها استطاعت فرض هيمنتها على كل أجزاء العالم. أي أنها لم تمتلك قدرة إقناعية بقدر ما فرضت سلطتها على الآخر بفضل ما أنتجت من أدوات وبفضل إسهامها في الثورة التكنولوجية، التي لم تقف عند حدود تطوير الصناعات لخدمة البشرية ولكن كانت أساسا في تطوير تقنيات الحرب والعنف المنظم.

3- تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة الصلبة

في طور الحداثة الصلبة، كما اكتملت صفاتها في المجتمع الغربي، تم توظيف العلوم في خدمة الدولة الوطنية، ومن أجل ذلك رأى مفكرو الحداثة ضرورة ربطها بتكنولوجيا الحرب والعنف المنظم. في هذه الفترة لم يعد العنف فرديا ولا عشوائيا، ولكن أصبح هندسة تشرف عليها مؤسسات الدولة، وأصبحت الحرب والقتال جزء من المصانع والمكننة، وهو الذي وسّع دائرة الحروب والعنف المنظم.

إن أهم وأشد وأوضح "فعل يمكن من خلاله وصف تأثير التكنولوجيا على الحرب هو أنها تُغير الحرب. لطالما كانت التكنولوجيا المصدر الرئيسي للابتكار العسكري عبر التاريخ، وهي تُحرك التغييرات في الحرب أكثر من أي عامل آخر" وتتضافر مع العوامل الأخرى (Robert O’Connell ; 1989, p 8). والعلاقة بين الحرب والصناعات العسكرية يتم فهمها من خلال نظرية "الباب المفتوح"، إذ غالبًا ما توجد علاقة بين من يفتحون الباب ومن يعبرونه. فـ"في التجارب العسكرية الحديثة، غالبًا ما نفكر في هذه العلاقة على أنها مجمع الصناعات العسكرية. هذه النتيجة الثانوية للحرب الباردة تُذكّرنا بأن الباب قد يكون متأرجحًا، بل وحتى يدور. قد يلجأ الراغبون في العبور إلى توظيف وكلاء لفتح الباب لهم. وبالمثل، قد يُغري من يكتشفون كيفية فتح الأبواب للآخرين بالعبور. لا يجعل أي من هذا التكنولوجيا بحد ذاتها حتمية، ولكنه قد يجعل النظام الاجتماعي المسؤول عن الباب قادرًا على التكاثر الذاتي والاستدامة. وقد ينتقل المشاركون إلى عوالم ما كانوا ليختاروا دخولها لولا ذلك، ولا تخدم مصالحهم" (Donald A. MacKenzie 1990 ; p 96).

لقد أصبح واضحا أن هناك عملية متبادلة بين المؤسسات الصناعية والمؤسسات الحربية، فكل الابتكارات التكنولوجيا أضحت رهن إشارة الصناعات الحربية وتطوير العتاد، ولم يقتصر الأمر على المؤسسات الصناعية بل حتى المؤسسات البحثية، التي يتم في الغرب تمويلها من قبل الشركات الصناعية الكبرى، وبالتالي تم استغلال العلوم الحقة، كالرياضيات والفيزياء والكيمياء بغرض تطوير الصناعات العسكرية، والتطور التقني كان عاملا حاسما في إنتاج السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل والأسلحة الجرثومية.

هذا التطور زاد من ضخامة الحروب ورفع من مستوى الضحايا. لقد انتقلت الحرب من الشكل القديم، الذي كانت تعتمد فيه على بطولة الجنود، إلى الإنتاج الكثيف للأسلحة. وتجلى ذلك واضحا في الحرب العالمية الأولى، التي سُميت الحرب الكبرى إذ "عادةً ما يحسم تفوق الأسلحة النصر في المعركة؛ ولذا، أصبح العلم

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

والتكنولوجيا الحديثة محوريين في الحرب العالمية الأولى. جمع كل من الحلفاء ودول المحور المجتمعات العلمية لاختراع وتطوير أفتك أسلحة العالم. في فرنسا، أصبحت أكاديمية العلوم المركز العلمي للحرب. وفي بريطانيا، تم إنشاء مجلس الاختراع والبحث، وقسم اختراعات الذخائر، ولجنة اختراعات الطيران للتعامل مع أفكار الأسلحة الجديدة" (Ian Beckett 2007; p 215) . و في ألمانيا، "تم إنشاء العديد من المؤسسات العلمية الجديدة. وكان أشهرها معهد القيصر فيلهلم للكيمياء الفيزيائية والكهربائية، الذي طور مادة مضادة للتجمد للمركبات لتولي زمام الأمور في الحرب الكيميائية" (Ian Beckett 2007; p215) ، وفي "النمسا-المجر، عندما كانت إمبراطورية، حُوّلت المدرسة الثانوية التقنية إلى مركز أبحاث فيعام 1916 لتحسين إنتاج الذخائر" (Ian Beckett 2007; p 216)، وحوّلت هذه المؤسسات مجتمعةً هذه الحرب إلى سباق تسلح حديث.

باختصار، لقد "نقلت الحرب العالمية الأولى العالم إلى مستوى جديد من التقدم التكنولوجي، ونشرت أهم الأفكار الحديثة حول السلام الدولي، وحق تقرير المصير، والمساواة بين الجنسين. في كتابه عاصفة الفولاذ، اعتقد يونغر أن الفروسية هنا ودّعت العالم وداعًا نهائيًا... ظهرت أوروبا لأول مرة في ساحة المعركة" (Ernst Junger 1920 ; p 110).

في الحرب الحديثة، لم تعد هناك حاجة للفرسان للقتال في ساحات المعارك. فقد حلت محلهم المدافع الرشاشة والدبابات والطائرات. وقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى ظهور نوع جديد من الحروب لم تشهده أوروبا وبقية العالم من قبل، ألا وهو الحرب الميكانيكية. ويمكن اعتبار هذه الحرب واحدة من أفظع الصراعات في التاريخ.

لكن هذا التطور صاحبه أيضا تطور آخر شمل تكنولوجيا الإدارة والتنظيم، فلم تعد الحرب فقط هي القوة ولكن أيضا هندسة، حيث شرعت الدول في الاعتماد على من يهدنس المعركة ويديريها بشكل يجعل الانتصار فوق الورق، أي الخطة، أهم من النصر على الأرض. وكان مصداق الحداثة الصلبة على أرض الواقع هو الحروب التي تمت تسميتها بحروب الاستنزاف الشاملة، التي تجاوزت كل حد وتجاوزت الحدود واختلطت فيها الجبهات العسكرية، حيث إن التطور التكنولوجي منح الجيوش القوة على استهداف مدن بأكلمها.

تكنولوجيا الحرب والعنف المنظم في الحداثة السائلة

1- الحرب في الحداثة السائلة

في الحداثة الصلبة، استندت القوة والثروة إلى القدرة على استغلال موارد الأرض. وبلغت هذه الحقبة من الغزو الإقليمي ذروتها مع التنافس الإمبريالي على الاستعمار في نهاية القرن التاسع عشر. أما "في الحداثة السائلة، فتستند قوة الدولة إلى قدرات صناعتها، لا إلى مساحة أراضيها. صحيح أن هذه الصناعة تعتمد على الموارد الطبيعية، لكن في عصر العولمة الحالي، يُضمن الوصول إليها بشكل أفضل عبر التجارة الحرة مقارنةً بالغزو الإقليمي. ولم يعد الهيمنة على إقليم ما، ولا سيما إدارته وشؤون سكانه، محور الصراع العالمي على السلطة.". (Max Mutscheler 2023)

لم تتطور فقط الحرب بين الحداثة الصلبة والحداثة السائلة ولكن تطورت أيضا وسائل إدارتها. ويلفت "مفهوم الحرب السائلة الانتباه إلى التساؤل عما إذا كانت الحرب الدقيقة لتجنب التدخل البري ممارسة ليبرالية- ديمقراطية بامتياز أو في المقام الأول. وعلى النقيض من تفسيرها كإدارة للمخاطر من قبل الحكومات المنتخبة ديمقراطياً، سنوضح، من منظور الحداثة السائلة، كيف أن الوظيفة العامة للحرب الدقيقة هي المراقبة الشاملة". (Max Mutscheler 2023). ولم نعد نعيش الحرب كساحة مواجهة ولكن كضربات من بعيد لبعيد دون اصطدام للجيوش.

وللتوضيح، فإن الحرب السائلة والحرب الصلبة، كما نستخدم هذين المصطلحين، ليستا ممارسات حربية بحد ذاتها، يمكننا ملاحظتها مباشرة، وفهمها من أول تفكير. فـ"الحرب السائلة تتجاوز كونها مرادفًا للضربات الدقيقة أو الحرب عن بُعد، إذ تنطوي على منطق اجتماعي مكاني معين وراء هذه الممارسات. وينطبق الأمر نفسه على الحرب الصلبة، التي لا تُعدّ مجرد مصطلح آخر للحرب باستخدام القوات البرية. تُعتبر كلتا الحربين، السائلة والصلبة، نموذجين مثاليين لتصنيف مختلف ممارسات الحرب وفقًا للبعدين

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الاجتماعيين المكانيين: الأرض والشبكة وهذا يُمكّننا من فهم هذه الممارسات الحربية ضمن سياقها الاجتماعي المكاني . (Max Mutscheler 2023).
ففي حرب العصابات الحديثة، كما أوردها كثير من المؤرخين، يتمثل "الهدف في حرمان العدو من الأراضي عبر السيطرة السياسية على السكان. ويجب تجنب المعارك إلا إذا كانت تصب بوضوح في مصلحة المقاتلين. وينصب تركيز جميع الجهود على كسب قلوب وعقول السكان"(Bard 1990 , p13) E. O'Neil.
وتُعدّ الحرب السائلة ممارسةً إشكاليةً للغاية، وسلوكا مضطربا، بغض النظر عن الدولة التي تمارسها، سواءً كانت ديمقراطيةً أم استبدادية. "فبدلاً من رؤية عمليات واسعة النطاق وطويلة الأمد كتلك التي جرت في أفغانستان أو العراق، قد نشهد بشكل متزايد تدخلات أصغر وأقصر مدة نتيجةً لانتشار الحرب السائلة. وبينما قد يرى بعض المراقبين هذا تطوراً إيجابياً، إلا أن هناك جانباً سلبياً هاماً. فمثل هذا التطور قد يُؤدي إلى طمس الحدود بين الحرب والسلام كما هو الحال بالفعل في في أعقاب الحرب العالمية على الإرهاب" (Max M. Mutschler 2016; p 5).
فهل أصبحت ميزة الحرب في الحداثة السائلة هي الحروب عن بعد والحروب الخاطفة؟
وتعتبر الحرب في الحداثة السائلة انتقال من معنى إلى آخر، فالحرب تبقى حربا مهما كانت، لكن تغيرت المفاهيم، التي جعلتها تنتقل من من حروب نظامية كبرى، بتسيير جيوش ضخمة وآليات متطورة تسعى للسيطرة والاستعمار، إلى حروب دقيقة تهدف إلأى أن تكون وسيلة للاستنزاف، وهي حروب يتم فيها توظيف الجماعات غير النظامية من أجل الهيمنة والسيطرة وإدارة المعارك التي لا تنتهي ولا يتم حسمها.
ومن هنا لقد "أصبحت الحروب متعددة المجالات. فإلى جانب المجالات التقليدية للبر والبحر والجو، أُضيف بُعدان جديدان مع مرور الوقت: الفضاء والفضاء السيبراني. ورغم أن معاهدة الفضاء الخارجي لعام 1967 تنص على الاستخدام السلمي لهذا البُعد، فمن الواضح أن القدرات الفضائية والفضاء نفسه يُضاعفان قوة العمليات العسكرية. وبالمثل، أصبح الفضاء السيبراني بُعدًا أساسيًا في الحروب، فضلًا عن كونه يُمكّن المجالات الأخرى"(Jean-Marc Rickli 2024).
وبالنظر لما سبق، ومع "تطور الذكاء الاصطناعي التوليدي، والتقنيات التفاعلية، والتقنيات العصبية، يبرز بُعد سادس: المجال المعرفي، حيث يصبح الدماغ ساحة المعركة. لا تهدف الحرب المعرفية إلى السيطرة على تدفق المعلومات فحسب، كما هو الحال في حرب المعلومات، بل تهدف أيضاً إلى التحكم في كيفية تفكير الناس ومضمون أفكارهم، وذلك للتحكم في سلوكهم"(Jean-Marc Rickli 2024).
إن التفكير في الحرب في القرن الحادي والعشرين يعني التعامل مع مفهوم متغيّر ومتطوّر باستمرار. فالحرب لا تستمدّ فقط من تجاربها التاريخية، بل تشمل أيضاً بشكل متزايد جهات فاعلة جديدة: دولا، وجهات فاعلة غير حكومية، وأفراد، وآلات، فضلاً عن أبعاد جديدة: علم التحكم الآلي والعلوم المعرفية. وهذا يستلزم إعادة النظر ليس فقط في أساليب العنف السياسي، بل أيضاً في الغاية الأساسية للحرب.

2- العنف في الحداثة السائلة

اتخذ العنف في الحداثة السائلة أشكالا مختلفة، لم يعد العنف متجسدا فقط في الحروب الدامية والعمق السياسي والعرقي وغيره، ولكن أصبح مستوطنا للمؤسسات غير المرئية، يمارس طبعا عبر الحروب السائلة كما يمارس عبر المؤسسات السائلة، التي أبدعت أشكالا من الإكراه غير مرئية. "إن الحداثة السائلة قد انتقلت إلى خصخصة الخوف ليصبح الأمن مهمة الفرد، ظهرت الحداثة الرأسمالية لتقدم لنا الأبواب الآمنة والسيارات المصفحة والأسوار العالية وكاميرات المراقبة، ومن لا يملك تكلفة كل ذلك كان لزاما عليه أن يتعلم كيف أن يدافع عن نفسه بطرق أقل تعقيدا ولكن أكثر وحشية من أجل مواجهة العنف حتى وإن كان بترسيخ العنف في أنطلوجية الإنسان المعاصر"(عثمان عابد أمكور 2018، ص 71) .
إن العنف في الحداثة السائلة خضع لمنطق الاستبدال، فقد تحول من عنف منظم تديره السلطة بطريقة مباشرة، إلى عنف غير مرئي، حيث تخلت الدولة عن مسؤوليتها الاجتماعية، وتغير مع هذا الهدف من العنف، حيث لم يعد مقصود منه بناء مجتمع منضبط، ولكن أداة لإدارة الخوف، الذي أصبح هو أيضا سائلا، وتحول إلى ذريعة تستغلها الدولة لتبرير المراقبة للشعب والقيام حتى بالحروب الاستيباقية.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

غير أن "تجربة الخوف تختلف باختلاف ديناميكيات السلطة، والتي تشمل في المقام الأول العرق والجنس والطبقة، التي تُشكل أساس الخوف والأعداء الاجتماعيين. فعلى سبيل المثال، في المناطق التي ينبع فيها العنف بشكل خاص من الدولة عبر الشرطة، كما هو الحال في الأحياء الفقيرة البرازيلية، يكون الخوف من عناصر الأمن أكبر بكثير منه في المدينة، حيث يُوحي وجود الجيش غالبًا بشعور بالأمان.
وفي خضمّ تعقيدات سياسات الخوف، يوجد خوف سياسي مؤسسي واجتماعي ثقافي ذاتي. يتعلق بالعلاقة الاستعمارية الكامنة بين الدولة والمجتمع المدني، والقائمة على ثنائية النظام والفوضى. وهو محوري في مفهوم احتكار العنف ومسؤولية الدولة عن الحماية الاجتماعية؛ كما أنه يُرسي منطق ما هو مقبول/شرعي كسلطة؛ ويُمثل انعكاسًا لمفاهيم الأخلاق والعلمانية، وروح المبادرة السياسية. ويرتبط البعد الاجتماعي والثقافي والذاتي ارتباطًا وثيقًا، ويقع ضمن نفس التدفق المكاني والزماني، ويتكون من الأساس المعرفي والآثار السياسية لتأكيد عقلانية معينة: منطق الآخرية الخطيرة، التي تخلق الحاجة إلى دولة تحمي، مع آثار تتعلق بسياسات العداء والاستقطاب السياسي الغاضب؛ وتطبيق تقنيات المراقبة في عمليات الرقمنة واستعداد معين لتقييد الحرية؛ والإنتاج الجمالي للخوف وصور العنف مع إمكانية إعادة إنتاجها بشكل كبير عبر وسائل الإعلام" (Lara Sartorio Gonçalves 2023).
لقد شكّل الخوف الهويات عبر التاريخ، مُؤثراً في الخطابات في علاقة متقلبة ومتغيرة باستمرار مع الحساسية والجسد. "تتجلى العناصر البنيوية والهيكلية للخوف في التاريخ، مُعيداً ابتكار نفسها باستمرار ومُعيداً تنظيم العلاقات بين الأفراد. تُوظَّف أدوات وأسس سياسة الخوف كمبرر للممارسات الاستبدادية، سواء في العلاقات الشخصية أو الجماعية أو بين المجتمع والدولة. إن تشتت الخوف وتعدد أبعاده أمرٌ لافت، كاشفاً عن جانب اجتماعي يصعب عزله؛ فهناك طبقات مرئية وغير مرئية، ترتبط بالخوف في حركة متبادلة. وقد أدى تعميق تعدد أدوات الخوف كتأثير سياسي إلى إدراك أنها وسيلة وأداة لاستراتيجيات الهيمنة والسيطرة الاجتماعية، التي تؤثر في أشكال التفاعل والتكوينات الذاتية (Lara Sartorio Gonçalves 2023).
وما يصح على العلاقة بين الدولة والمجتمع ينسحب على العلاقة بين الدول حيث "تتسم العلاقات الدولية بغياب الشرعية المعترف بها على نطاق واسع في استخدام القوة بين الدول" (Raymond Aron 1962; p15)، ومع الانحباس الذي عرفته القوة العسكرية ظهر مستويات جديدة من القوة، التي لا تخرج عن سياق أزمة الحداثة الصلبة، التي تركت مكانها للحداثة السائلة، حيث يُعدّ انتشار الفاعل غير الحكومي منذ انتهاء الحرب الباردة أحد العوامل التي أدت إلى ظهور نموذج تشبيكات في السياسة الدولية.
هذا التهديد الدائم القائم على الخوف المتبادل هو نفسه الذي يخلق الانغلاق ثانية على الذات، فالسيولة تحتاج إلى ضبط "لأن الناس في زمن الحرب يخشون على سلامة الوطن، بل وربما على بقائه نفسه، فإنهم يتنازلون عن ثرواتهم وخصوصيتهم وحرياتهم للحكومة بسهولة أكبر بكثير مما يفعلون في زمن السلم. وكما يلاحظ موراي روثبارد: في الحرب، تُدفع سلطة الدولة إلى أقصى حدودها، وتحت شعارات الدفاع والطوارئ، يمكنها أن تفرض استبدادًا على العامة قد يُقاوم علنًا في زمن السلم" (ROBERT HIGGS 2005; p 461) .
فالعنف في الحداثة السائلة غير ثابت وغير ظاهر لكنه موجود، وهو يمارس بشتى الطرق عبر صناعة الخوف، الذي بالناس إلى البحث عن ملاذ، وعن علاج لا يتم إلا بواسطة أدوات للضبط والسيطرة يمنع الخوف من كشفها.

3- تكنولوجيا الحرب والعنف في الحداثة السائلة

يختلف الأمر في نظر الحداثة السائلة عما هو عليه في الحداثة الصلبة، حيث يلوح في الأفق عصر جديد لما يُسمى بـ"القوات التكنولوجية"، وذلك باستخدام أنواع فائقة الحداثة من الأسلحة والمعدات العسكرية والوسائل الروبوتية ووسائل الاستطلاع الفضائي والوسائل الإلكترونية لأغراض الحرب، وصولاً إلى استخدام أسلحة قائمة على مبادئ فيزيائية جديدة. ولاشك أن حرب المستقبل لن تشبه أي صراع سابق. ففي غضون فترة وجيزة نسبيًا، ستحقق البشرية تقدمًا تكنولوجيًا هائلاً، سيغير جذريًا نهجنا في أساليب الحرب المسلحة. وبناءً على ذلك، إذا أرادت الدول ذات السيادة البقاء في العالم الحديث، فعليها أن تولي أهمية بالغة لعامل التطور التكنولوجي الحديث، إن لم ترغب في أن تكون دولًا عازلة تابعة أو محايدة أو تابعة. وللحفاظ

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

على سيادة الدولة، من الضروري اتباع سياسة براغماتية، وتحديد أصعب الحسابات السياسية والتنبؤ بها، وهو أمر بالغ الصعوبة في عالمنا المعاصر سريع التغير. فالصراعات ظاهرة شائعة في البشرية، تبدأ لأسباب مختلفة، ويمكن أن تتصاعد لاحقًا إلى حرب واسعة النطاق. ولهذا السبب، كرّس العديد من العلماء البارزين
وقتًا طويلًا وجهودًا كبيرة لشرح هذه الظاهرة وتحديد مصالح الدول. وهنا، يجدر بنا تسليط الضوء على هانز مورغنثاو، أحد أبرز ممثلي نظرية الواقعية السياسية، الذي يرى أن "السياسة متجذرة في طبيعة الإنسان الثابتة، وهي الأنانية والمتمركزة حول الذات" (Gibradze, Gorda, Alika Guchua and Giga Gogua; 2022, p 26).
للدول مصالحها الخاصة، وتتنوع سبل تحقيق هذه المصالح. "عندما تتقاطع مصالح دولتين أو أكثر، قد يصبح ذلك سببًا للصراع. ولا يشترط أن يكون الصراع عسكريًا تقليديًا، فقد يكون حربًا معلوماتية أو إلكترونية. ومن الممكن أيضًا أن يكون حربًا سرية، أو مباشرة، أو غير متكافئة، أو هجين (Gibradze, Gorda, Alika Guchua and Giga Gogua; 2022,p 28).
في القرن العشرين، أعطى التطور السريع للتقنيات العسكرية دفعةً قويةً للتحول السريع في أساليب القتال. واختفت أغلب الأساليب القديمة في القتال، على مدى العشرين إلى الخمسة وعشرين عامًا الماضية، ازداد نشاط الطيران بدون طيار في ساحة المعركة. وبفضله، قد يتم في المستقبل استبدال عدد من الطائرات المأهولة ذات الأغراض المختلفة بشكل كامل. وقد "بدأت منصات القتال ذاتية التشغيل، والحرب السيبرانية، والطائرات بدون طيار بالتأثير على العمليات القتالية. وستُحدث أسلحة الطاقة الموجهة، وتحليلات البيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء، والذكاء الاصطناعي، التي تقترب من دخول حيز التشغيل، تأثيرًا كبيرًا على العمليات القتالية في المستقبل. قد لا نشهد جيوشًا ضخمة، بل سنشهد عددًا أقل من البشر في ساحة المعركة، وسيكونون أكثر تقدمًا من الناحية التكنولوجية، أي بشرًا مُعززين". (Gibradze, Gorda, Alika Guchua and Giga Gogua 2022 ; p 29).
ففي عصر الحرب السائلة لم تعد التقنية العسكرية في حاجة إلى الموارد البشرية الكثيرة، ولم تعد الحاجة إلى تحريك الجيوش، حيث "يمكن للمهاجم تقليل الخسائر في أرواح المدنيين. وبالمثل، يمكن توجيه المركبات غير المأهولة إلى مناطق بالغة التعقيد وغير آمنة من قبل الجنود، ومن المعروف أنها أرخص من الطائرات المأهولة. كما أن الروبوتات والمركبات غير المأهولة أكثر قابلية للاستبدال من الجنود لأن تكلفتها السياسية أقل من التضحية بالجنود. فهي لا تجذب وسائل الإعلام أو اضطرابات شعبية. فخلال فترة رئاسة جورج دبليو بوش، وبأعداد متزايدة في عهد الرئيس باراك أوباما، تم نشر طائرات بدون طيار في دول من بينها العراق وأفغانستان وباكستان. وقد استُخدمت هذه الطائرات في كل من المراقبة ورصد المخاطر القتالية. على الرغم من أن استخدام الرئيس باراك أوباما للطائرات بدون طيار كان الأكثر إثارة للجدل خلال السنوات الخمس الأولى من رئاسته، إلا أن عدد القتلى بلغ حوالي 2400 شخص بسبب هجمات الطائرات بدون طيار. ومن الجدير بالذكر أن التقدم التكنولوجي، ولا سيما استخدام الطائرات المسيّرة، قد مكّن الحكومة الأمريكية من القضاء على العديد من قادة طالبان والقاعدة البارزين، من أجل السلام والاستقرار"(Rufus Aisedion, and,Goddy Uwa Osimen ;2023; p141).
لقد انتقلت الحروب في عهد الحداثة السائلة من الآليات الثقيلة إلى تقنيات عالية بل أحيانا إلى أبسط الأسلحة مثلما حدث مع "المسيرة الانقضاضية" التي تم استعمالها في لبنان ضد "إسرائيل"، وهي رخيصة للغاية لكن أصبحت معضلة لأقوى جيش بالمنطقة.

الحرب السائلة والفوضى عند زيجمونت باومان

لقد ارتبطت الحرب السائلة بإدامة الفوضى. وأصبح المطلب الرئيسي هو البحث عن الأمان. إن "الأمان هو عنوان اللعبة في عالم غير آمن، فالأمان هو الغاية الرئيسية من اللعبة ومكافأتها الأسمى إنه قيمة تقزم عمليا إن لم يكن نظريا، وتدفع كل القيم الأخرى بما فيها تلك القيم الأحب والأكثر بغضا لديهم، ولهذا السبب أفصحوا عن السبب الرئيس لرغبتهم بإيذائنا في عالم متزعزع كعالمنا"(باومان زجيمونت 2016، ص 319) . كل التطورات الحاصلة لفائدة الإنسان محاصرة بالتوجش من المستقبل والخوف السائل.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ولم يعد مجرد قضية تحليل وتخمين ولكن ما صدر عن مركز "أريو سونتر راند" لفائدة البنتاغون الأمريكي، والذي سمح بنشره، يدل على أن الحروب تغيرت بشكل جذري، وأصبحت سائلة، جاء في التقرير أنه "من بين أكثر خيارات القدرة على الإرغام المتوفرة للولايات المتحدة أهمية هي العقوبات المالية، ودعم المعارضة السياسية اللاعنفية لأنظمة الحكم المعادية، والعمليات الهجومية الإلكترونية، إن منع الأعداء من الوصول إلى نظام الشبكة العالمية للبنوك. يمكن أن يتسبب بأذى اقتصادي شديد ذي آثار قابلة للانتشار، كما وبالإمكان ضبط معياره بناء على ردة فعل الهدف"(ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك 2016 ص 9).

وبما أن التقرير كان موجها للجيش الأمريكي فقد حذر من "مخاطر وتكاليف الأضرار الجانبية واحتمال الرد بالمثل والتصعيد جديرة بالاعتبار، لا سيما إذا كان البلد-الهدف هو نفسه صاحب قوة حربية في المجال الالكتروني، كما الهو الحال بالنسبة لروسيا والصين"(ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك 2016 ص 9).

وأوصح أنه "بشكل أعم على حكومة الولايات المتحدة أن تحضر لاستخدام قدرة الإرغام بنفس الطريقة التي تحضر فيها لشن الحرب العسكرية، ويشمل تحليلا الخيارات، وتقييم المتطلبات والقدرات، وتنفيذ سيناريوهات محاكاة الحرب من أجل تشذيب هذه القدرات والتخطيط مع الحلفاء"(ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك 2016 ص 10).

وأكد التقرير على ضرورة الانتقال من الأشكال التقليدية للحرب الصلبة إلى أشكال سائلة وهجينة "لقد أصبحت القوة العسكرية الهجومية الأداة الرئيسية في الاستراتيجية الأمريكية العالمية. لقد استخدمت الولايات المتحدة القوة لتغيير الأنظمة، والتدخل في الصراعات الداخلية، وتدمير قدرة الدول التي تهدد مصالحها وحلفاءها والأمن الدولي على شن الحروب. ولكن الولايات المتحدة بدأت تجد أن استخدام القوة أصبح إشكاليا بصورة متنامية، لا سيما في المناطق الحرجة والمتنازع عليها"(ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك 2016 ص 12).

وعرض التقرير مجموعة من الأدوات المختارة من منظومة متكاملة تضم استخدام القوة وتنظيم عزيل دولي وإلحاق أذى اقتصادي، ودعم المعارضة المحلية والتأثير على وسائل الإعلام وتشكيل التصورات، وكذلك لوي الذراع بالوسائل الديبلوماسية(ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك 2016 ص 14).

وهذا ما توقعه باومان منذ زمن بعيد، "فعلى عكس الحداثة الصلبة التي تتسم بالمصانع الثابتة والدول القومية المستقرة والبنى الاجتماعية الجامدة، فإن الحداثة السائلة تُذيب هذه الأسس نفسها. وقد حذت الحرب حذوها، متخليةً عن شكلها الجامد لتتبنى شيئًا أكثر خبثًا وانتشارًا. لقد تحولت من صراع جيوش تقليدي إلى ما يشبه عمليات الكر والفر السائلة التي تتغلغل في نسيج الحياة المدنية"(Jesús Martínez 2025.)

يتطلب عصر الحرب السائلة لباومان "أكثر من مجرد استراتيجيات عسكرية جديدة، إنه يستلزم إعادة تقييم جذرية لكيفية إدراكنا للسلام والصراع والأمن نفسه. لقد تبدد وهم وجود خط جبهة محدد جغرافيًا، ليحل محله تهديد شامل وغير محدد المعالم يتغلغل في حياتنا اليومية. هذه ليست دعوة لليأس، بل دعوة ملحة للتكيف. من خلال إدراك أن اليقين لم يعد أمرًا مفروغًا منه، وأن السيولة هي الوضع الطبيعي الجديد، يمكننا البدء في تنمية المرونة، وتعزيز التفكير النقدي، وبناء مجتمعات قوية بما يكفي لتجاوز المياه المضطربة وغير المؤكدة التي تنتظرنا")(Jesús Martínez 2025. فساحة المعركة موجودة في كل مكان، ولكن كذلك هي فرصة الدفاع الواعي والقابل للتكيف والجماعي ضد تسييل السلام.

ويخلص باومان إلى أن ما ذهبت إليه الولايات المتحدة الأمريكية من معارك تحت عناوين شتى ومنها الإرهاب كان الغرض منها خلق الفوضى الدائمة، إذ "أن فكرة الإرهاب تنطوي على تناقض، فالأسلحة الحديثة التي ابتكرها الإنسان وطورها في عصر الإغارة على الأراضي وغزوها لا تصلح تمام لتحديد الأهداف المعروفة بتغيير مواقعها، وبقدرتها الدائمة على المراوغة، وبعدم تقيدها بمكان، ولا تحديد جماعات محدودة أو أفراد يسافرون بخفة ويختفون من مكان الهجوم بسرعة وهدوء مثلما وصلوا من دون أثر يذكر، ناهيك عن قصف تلك الأهداف والجماعات والأفراد وتدميرهم"، فاستعمال الأسلحة التي تمتلكها المؤسسة العسكرية لن يجدي في التعامل مع الأعمال الإرهابية، لكن الذي لم يذكره باومان أن الأعمال الإرهابية أيضا من جملة الأسلحة التي تستعملها الولايات المتحدة الأمريكية لمهاجمة خصومها ونشر الفوضى كسلاح أيضا في الحروب السائلة. (زيجمونت باومان 2017، ص 44).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

خلاصة

كان غرضنا في هذه الدراسة الانطلاق من عملية تفكيك للعناصر والمفاهيم المكونة للموضوع، على أمل أن نقوم في النهاية بالتركيب وربط الأمور ببعضها، حيث نخلص إلى أن اغلتمييز بين الحرب الصلبة والحرب السائلة هو تمييز مفهومي، يراعي شروط وتحولات الوقائع، التي لم تنه معالم الحرب القديمة، لكنها أصبحت خاضعة لمنطق السيولة، الذي فرض دخول عناصر جديدة في الحرب.

ومثلما غيرت الثورة الصناعية عناوين الحرب الصلبة، غيرت الثورة التقنية عناوين الحرب السائلة، التي هي نوع من "الهجنة"، التي تخلط بين الأساليب والأدوات والأسلحة الصلب منها والناعم.

وبما أن باومان هو "قُطب رحى" هذه الدراسة، وبعد رحلة من المقارنات، وصلنا إلى تحديد كيف يناقش هذا الفيلسوف تحولات طبيعة الحروب والأخطار. إذ انتقل من الحرب الصلبة، التي حرب واضحة المعالم، تتواجه فيها الجيوش بكافة أنواع الأسلحة، ويتم حسمها لطرف دون آخر، بينما الحرب السائلة هي حرب بلا جبهات، ولم تبق مجرد صراع بين دولتين أو أكثر لها جيوش نظامية، فقد أصبحت اليوم حروب متشابكة ومتشظية، كما أنها عابرة للحدود، مثل حروب الإرهاب والحرب السيرانية والنزاعات الأهلية، واستدركنا على باومان بأن جعلنا من الإرهاب موضوعا للحرب وأداة تستعملها القوى العظمى في حروبها.

وتتبعنا مع باومان سياق الفوضى المرتبط بالحروب السائلة، وما أسماه العيش في "اللا يقين"، فبعد أن استنفدت الدول السيطرة على الاقتصاد الذي تتحكم فيه الشركات العابرة للقارات، لم يعد أمام الدول سوى أن تصنع مشروعيتها من "تدبير الخوف"، عبر إقناع المواطنين أن الدولة تحميهم من فوضى خارجية وتهديدات إرهابية، ويتم تصريف هذا الضبط عبر الرقابة واستمرار الحروب.

واعتبر باومان أن الحرب والفوضى ليستا من الظواهر التي طرأت على المجتمعات، بل إن ارتباط الحرب بالفوضى هو انعكاس أوتوماتيكي للحداثة السائلة.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

[1] يورغن هابرماس (2012)، الحداثة مشروع لم يكتمل، ترجمة: فتحي المسكيني، مجلة تبين، الدوحة، العدد الأول، 2012.

[2] انظر يورغن هابرماس، الحداثة وخطابها السياسي (2002) ترجمة: جورج تامر، دار النهار اللبنانية للنشر، بيروت.

[3] سعد بوترعة (2018)، الحداثة /مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر، مجلة المدونة، الجزائر، السنة الخامسة، العدد الأول.

[4] قاسم شرف (2026) مدخل إلى دراسة الديني في فلسفة مارسيل غوشيه. الراصد الوطني للنشر والقراءة. مطبعة سليكي إخوان طنجة المغرب.

[5] عماري أبوبكرالصديق (2024). النزعة النقدية للفن والجمال عند ثيودورأدورنو. مجلة مقاربات فلسفية، الجزائر.

[6] زيجمونت باومان (2000)، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط أولى عربية بيروت 2016.

[7] عبد الغني بو السكك (2022)، تحولات الحداثة والظواهر السائلة في فلسفة زيجمونت باومان، مجلة دراسات، الجزائر، المجلد 13، ع 1.

[8] كانط، (1952) مشروع للسلام العالمي ، ترجمة: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

[9] بلدي عثمان عبد المجيد (2018)، الحرب والحرب الأهلية عند توماس هوبز، مجلة مشكلات الحضارة، الجزائر، السنة السادسة، العدد 2.

[10] غاستون بوتول (1981)، هذه هي الحرب، ترجمة: مروان القنواتي، دار عويدات، بيروت-باريس.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[11] الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، (1817) عن الحرب، ترجمة شاكر سليم الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
[12] ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حرفة (1917)، ترجمة: جورج كتورة (2011)، نشر المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
[13] عثمان عابد أمكور (2018) ، العنف المزدوج قراءة في الجذور المؤسسة للعنف، دورية نماء، الجزائر، العدد السادس والسابع (مزدوج).
[14] باومان زجيمونت،(2016) الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبو جرب، تقديم هبة رؤوف عزت بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
[15] ديفيد س. غومبرت و هانس بيننديك (2016)، القدرة على الإرغام- مواجهة الأعداء بدون حرب، نشر هذا البحث بواسطة مؤسسةRAND ، سانتا مونيكا، كاليفورنيا.
[16] زيجمونت باومان (2017)، الأزمنة السائلة، العيش في زمن اللا يقين، ترجمة حجاج أبو جبر، مراجهة هبة رءوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت.

المراجع باللغات الأجنبية:

[1] Jean-Pierre Seguin (1994). Le mot “moderne” et ses dérivés au xviii^{e} siècle. Presses Universitaires de Bordeaux. France.
[2] Abraham Tsehay Jemberie1 , Dr. Pardeep Kumar (Department of Philosophy Punjabi University, Patiala, India 2019). THE CONCEPT OF MODERNITY: A BRIEF REVIEW. In IJRAR March 2019, Volume 6, Issue 1. (electonic edition).
[3] Anthony J. Cascardi (1992). The Subject of Modernity. Cambridge University Press.
[4] Annelies Häcki Buhofer (2007). THE CRISIS OF MODERNITY: CULTURE, NATURE, AND THE MODERNIST YEARNING FOR AUTHENTICITY. Basel. GERMAN. Universitätspressen .
[5] Peter Belharz (2016) . All that is solid. Revue internationale de philosophie n 277.
[6] Trevor N. Dupuy (1987) *Understanding War: History and Theory of Combat* ,New York: Paragon House.
[7] Office of the Secretary of Defense (2004) , *The National Military Strategy* (Washington, DC: US Government Printing Office).
[8] see: Debarati Sanyal (2006), The Violence of Modernity, Baudelaire, Irony, and the Politics of Form. Published by: Johns Hopkins University. Baltimore, Maryland, USA.
[9] Gennady Shkliarevsky (2015) OVERCOMING MODERNITY AND VIOLENCE in The Journal of Natural and Social Philosophy, new york, USA, vol. 11, no. 1
[10] Robert O’Connell (1989), Of Arms and Men: A History of War, Weapons, and Aggression (New York: Oxford University Press).
[11] Donald A. MacKenzie (1990), Inventing Accuracy: A Historical Sociology of Nuclear Missile ,Guidance,(Cambridge, MA: MIT Press.
[12] Ian Beckett (2007), The Great War ,Harlow,England, edit Longman-Pearson.
[13] Ernst Junger (1920), The Storm of Steel: from the diary of a German storm-troop officer on the Western Front, Fifth printing, 1996 Published by H ow ard Fertig, Inc. 80 East 11th Street, New Y ork .
[14] Max Mutscheler (2023) ; Liquid or Solid Warfare? In Geopolitcs. (https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/14650045.2023.2165915#abstract).
[15] Bard E. O'Neill (1990) , *Insurgency and Terrorism* ,Washington, DC: Brassey's.
[16] Max M. Mutschler, (2016) On the Road to Liquid Warfare?, Diesseits – Kommunikationsdesign, Düsseldorf, Germay.
[17] Jean-Marc Rickli (2024), Comment penser la guerre au XXIe siècle, revue francaise LE TEMPS (la version elctronique) (https://www.letemps.ch/opinions/debats/comment-penser-la-guerre-au-xxie-siecle?srsltid=AfmBOorxbQkEkPtx-I3WgyZgRVPbSkk62FNXRG2ox7T0WsEgvEGPtCzy) publie le 24 aout 2024.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[18] Lara Sartorio Gonçalves (2023) , The Politics of Fear and the Authoritarian Political Imagination, (https://globaldialogue.isa-sociology.org/articles/the-politics-of-fear-and-the-authoritarian-political-imagination).
[19] Raymond Aron (1962). Paix et guerre entre les nations, Paris.
[20] ROBERT HIGGS (2005), Fear The Foundation of Every Government's Power, independent review, VOLUME X, NUMBER 3, WINTER 2005.
[21] Gibradze, Gorda, Alika Guchua and Giga Gogua (2022) The Role of Modern Technologies in Military Conflicts of the 21st Century. Ukrainian Policymaker, Volume 11,p 26.
[22] Rufus Aisedion and,Goddy Uwa Osimen, (2023), Modern War Technologies and Global Peace and Security, Canadian Social Science Vol. 19, No. 4.
[23] Jesús Martínez)2025) Bauman's Liquid War: The End of the Front Line , (https://www.philosopheasy.com/p/baumans-liquid-war-the-end-of-the).

Disclaimer/Publisher's Note: The statements، opinions، and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **CJHES** and/or the editor(s). **CJHES** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas، methods، instructions، or products referred to in the content.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).